كلية التربية

كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم

المجلة التربوية لتعليم الكبار– كلية التربية – جامعة أسيوط

=======

الرقابة الإدارية في الإسلام (نماذج تطبيقية)

إعـداد

الباحثتان

أروى محمد الخويطر

د/ خولة عبدالله المفيز

﴿ المجلد الأول– العدد الرابع – أكتوبر ٢٠١٩م ﴾

http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

مقدمة

قال الله تعالى :**{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة : ١٠٥)**

تعتبر الإدارة الرشيدة من أهم سبل إصلاح المجتمع في الدولة الحديثة، ولا تقوم الإدارة الرشيدة إلا برقابة حازمة دقيقة ترد المخطئ إلى الصواب وتؤاخذ المقصر، وتثيب المجد. وهكذا كان موضوع الرقابة على أعمال الإدارة من أدق وأهم موضوعات الإدارة العامة والقانون الإداري في النظم الوضعية. وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للنظم الوضعية فإن الرقابة على أعمال الإدارة في النظام الإسلامي لا تقل أهمية. فرغم أن عمال الإدارة في الدولة الإسلامية كانوا على درجة من التقوى والصلاح بما لا يستلزم رقابة دقيقة، فهم رقباء على أنفسهم لعلمهم أن الله سبحانه وتعالى مطلع على أعمالهم . إلا أن القيادة الحكيمة في الدولة الإسلامية استلزمت أن تقوم برقابة حاسمة فعالة على عمال الإدارة وعلى سلوكهم وتصرفاتهم (الحكيم، ١٩٧٦).

فالمسلم مطالب بطاعة أولي الأمر، وقيادة المسلمين تخضع للتقييم، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطالب الناس بتصحيح الاعوجاج الذي يمكن أن يوجد في سلوكه، ((من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه))، وللقاعدة وجهة نظرها في اتخاذ القرارات { وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ } (سورة الشورى :٣٨) ، والمسؤولية في العمل تقع على الجميع {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) } وهكذا(عريفج، ٢٠٠٧، ص ٢١).

وقد بيّن (الأشعري، ٢٠٠٠) أن الرقابة تكون سابقةً لأي عمل إداري للتأكد من مشروعيته، ومرافقةً اثناء العمل للتأكد من سلامة الأداء، ولاحقة بعد الانتهاء منه (سابقة ومرافقة ولاحقة) وذلك لمعرفة مدى تحقيق الأهداف المحددة مسبقاً .

ووضعياً تعتبر الرقابة من أهم حلقات سلسلة العناصر الإدارية وتبرز أهميتها في توجيه المرؤوسين وزيادة حماسهم لعملهم وتصحيح مسارهم كما أنها تعمل على قياس درجة أداء العاملين في أنشطتهم المختلفة في المنظمة ومتابعة وتقويم نتائج جهودهم وتصحيح أيه انحرافات في حالة وجودها ومنع تكرارها في المستقبل (حسان و العجمي، ٢٠١٠، ص ١١٩).

وقد وضع مؤسس الإدارة الحديثة هنري فايول – مؤلف كتاب "النظرية الكلاسيكية" – الرقابة ضمن سلسلة الوظائف الأساسية الخمسة للإدارة وهي (التخطيط، التنظيم، التوظيف، التوجيه، الرقابة).

وحيث أن التّخطيط، والتنظيم، والتّوظيف، والتوجيه وظائف يجب أن تتم متابعتها للحفاظ على كفاءتها وفاعليتها . لذلك فالرقابة آخر الوظائف الخمسة للإدارة، وهي المعنيّة بالفعل بمتابعة كلّ من هذه الوظائف لتقييم أداء المنظّمة تجاه تحقيق أهدافها . (الحر،٢٠١٨)

مفهوم الرقابة

الرقيب في اللغة

الرقيب : فعيل بمعنى فاعل وهو الموصوف بالمراقبة، **والرقابة** تأتي بمعنى الحفظ والحراسة والانتظار مع الحذر والترقب.

في أَسماءِ الله تعالى: الرَّقِيبُ: وهو الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ ؛ فَعِيلٌ بمعنى فاعل .

وفي الحديث : ارْقُبُوا مُحَمَّداً في أَهل بيته أَي احفَظُوه فيهم (عطية، ٢٠١٠-٢٠١٩).

والرقابة بمعناها اللغوي هي المحافظة . لقوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)** (النساء : ١). والانتظار ، لقوله تعالى : **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)** (القصص : ٢١) . والمقصود من الرقابة عموماً : الرعاية والحفظ والانتظار . قال في مختار الصحاح : الرقيب الحافظ والمنتظر وراقب الله تعالى أي خافه والترقب والارتقاب الانتظار . (زواقة، ٢٠١٥)

الرقابة في الاصطلاح

الرقابة كما بيّن مفهومها فايول، هي رؤية كل شيء بمقتضى الخطة التي اختيرت والأوامر التي أُصدرت والمبادئ التي أُرسيت (المطيري، ١٩٩٠، ص٢١١).

وعرفها (النمر، خاشقجي، محمود، و حمزاوي، ٢٠٠٦) فيقول : (إن الرقابة الإدارية تعرف على أنها مراجعة الإنجاز وفقاً للخطط الموضوعة كما تعرف بأنها : عملية قياس النتائج الفعلية ومقارنتها بالمعايير أو الخطط الموضوعة ومعرفة أسباب الانحرافات بين النتائج المتحققة والنتائج المطلوبة واتخاذ فعل تصحيحي. كما تعرف الرقابة أيضاً على أنها عملية قياس الإنجاز المتحقق وفقاً للأهداف المرسومة، ومقارنة ما حصل فعلاً مع ما كان متوقعاً حدوثه).

وبيّن (الأشعري، ٢٠٠٠) مفهوم الرقابة في الإدارة الإسلامية : هو وظيفة إدارية فردية وجماعية ومهمتها متابعة النشاط الإداري وفحصه داخل المنظمة بموضوعية بهدف التقويم أو التغيير عند اللزوم وذلك للتأكد من سلامة ومشروعية العملية الإدارية أداء ووسيلة وغاية، وتنفيذاً للواجب وانقياداً لقول الله تبارك وتعالى في وصف المؤمنين : **(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)** (المؤمنون :٨) واستشعاراً للمسؤولية وامتثالاً لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام على آله و صحبه: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته).

أما (المطيري ح.، ١٤١٧، ص ١٩١) فقد عرفها بقوله : تعني الرقابة متابعة ومراقبة وملاحظة وتقييم التصرفات والأشياء بواسطة الفرد ذاته أو بواسطة الغير وذلك بهدف التأكد من أنها تتم وفق قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وبيان الانحرافات والأخطاء تمهيداً لعلاجها والقضاء عليها .

وترى الباحثتان أن الرقابة في الإدارة الإسلامية تعني : مراقبة الله في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، ويشمل ذلك مراقبة الذات ومحاسبتها خوفاً من الله تعالى وعدلاً وإحساناً، وذلك من قوله تعالى : (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (آل عمران : ١٥٦) ومراقبة الرعيّة وتحمل مسؤوليتها وذلك من قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ومراقبة الجماعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ).

الرقابة في الإسلام

أولا : الرقابة في القرآن

معنى الرقيب ﷻ

ورد اسم الله الرقيب في القرآن ثلاث مرات: في قوله تعالى{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[المائدة: ١١٧]، وقوله { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]،وقوله{ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب: ٥٢]

قال (السعدي، ٢٠٠٠، ١٦٣)، رقيب : أي مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه.

وقال (القرطبي، ١٩٩٥، ص ٤٠١,٤٠٢) في تفسير اسم الرقيب : رقيب؛ بمعنى: رَاقِب، فهو من صفات ذاته، راجعة إلى العلم والسمع والبصر؛ فإن الله تعالى رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب للمبصَرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب للمسموعات بسمعه المُدرِكِ لكل حركة وكلام؛ فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات، تحت رِقبته، الكليات والجزئيات وجميع الخفيات في الأرضين والسماوات، ولا خفيَّ عنده، بل جميع الموجودات كلها على نمطٍ واحدٍ، في أنها تحت رِقبته التي هي من صفته.

الآيات الكريمة التي دلَّت على الرقابة(صراحةً ومعنى) في القرآن الكريم

تركز الرقابة في القرآن الكريم على تنمية الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس أولاً بأول ، ثم مراقبة الله عز و جل في كل ما يفعل الإنسان سواء في العمل أو في العبادة أو التعاملات، كما أن الله سبحانه و تعالى لا يريد إلا بالناس خيراً و هو أرحم بهم من أمهاتهم اللاتي ولدنهم، لذا فباب التوبة مفتوح لعلاج الخطأ والاستغفار من الذنوب، كما أن التركيز يتمحور حول المسئولية الفردية عن الخطأ الذي يرتكبه الشخص (الرب، ٢٠٠٨، ص ٣٠٤).

أشار (سليمان، ٢٠١٠) " إلى عدد من الآيات القرآنية التي تناولت معنى الرقابة وتفسيرها ومن هذه الآيات قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأعراف ١٦٥) " وفي ظل تسلسل المستويات داخل المنظمة، فإن كل رئيس لوحدة تنظيمية قد يكون مرؤوساً أمام رئيس أعلى منه، ومن هنا يستطيع الرئيس أن يباشر الرقابة على المجموعة من الأفراد الذين يشرف عليهم .

إن القرآن يغرس في النفس رقيباً دائماً يقظاً من مخافة الله وإطلاعه على السر وأخفى. من ذلك قوله تعالى:(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المجادلة ٦)، يقول الإمام الطبري "أحصى الله ما عملوه فعده عليهم وأثبته ونسيه عاملوه ،كل شيء عملوه وغيره من أمر خلقه شهيد يعني شاهد ويحيط به فلا يعزب عنه شيء منه" .

يقول سيد قطب رحمه الله" إن كانوا هم نسوه فإن الله أحصاه بعلمه وإطلاعه وشهوده وحضوره فهو شاهد حاضر للعون والرعاية، وهو شاهد حاضر للحرب والنكاية، فليطمئن بشهوده وحضوره المؤمنون، وليحذر من شهوده وحضوره الكافرون" . ومن ذلك قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يعلم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(المجادلة ٧)

ومن نصوص القرآن التي تتحدث عن الرقابة قوله تعالى"وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢ابراهيم) يقول الإمام ابن كثير رحمه الله" يقول الله ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً عما يعمل الظالمون، أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عليهم غداً" " (سليمان، ٢٠١٠، ص١٥٠)

ثانياً: الرقابة في السنة النبوية

دلت السنة النبوية ، على ضرورة الإشراف على الأمور وتفحصها، ومن باب الاهتمام بهذا الجانب أمر الرسول صلى الله عليه وسلم امته بتوليه ولاة الامور على الجماعة الإسلامية لكي يردوا الأمانات إلى أهلها وليحكموا بينهم بالعدل (صالح، ٢٠٠١، ص ١١).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه الطويل عندما أتى سيدنا حبريل يسأل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا جبريل يصدّقه ... قال " أي سيدنا جبريل " أخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. إلى آخر الحديث (صحيح مسلم) (الرب، ٢٠٠٨، ص ٣١٠).

إن من كمال هذه الشريعة اهتمامها بجميع شؤون الحياة التي تتعلق بالإنسان، ولهذا أمرت كل فرد القيام بمسئوليته على قدر موقعه ومكانته، في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " (آل الشيخ، ١٤٣٤).

وعلى مستوى التطبيق العملي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، نجد ما يؤكد دور الرقابة والاشراف في تنظيم الأسس الإدارية الناشئة ، فلقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم عددا من الولاة على المدن والولايات الأخرى كمكة والطائف واليمن وغيرها ، كما أمر على السرايا ، وبعث العمال على الصدقات. وفي الوقت الذي تخير هؤلاء ممن عرفوا بالصلاح والتقوى والأمانة . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على عماله فيحاسبهم على المستخرج والمصروف (صالح، ٢٠٠١، ص ١١).

أهداف الرقابة الإدارية في الإسلام

تمثل الوظيفة في المنهج الاسلامي أمانة ، ولذلك على المكلفين بالوظائف تأديتها في ضوء احكام الدين الاسلامي التي تقتضي بالتخلق بأخلاق الاسلام التي تلزم العاملين بأداء الأعمال بالمستويات التي تحقق افضل توظيف ممكن للإمكانات والموارد المتاحة، وتنمية الثروات، وتحقيق مصالح العباد، ويؤكد هذا قوله تعالى(۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء : ٥٨).كما يؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (البقرة: ٢٣٥).

وفي ضوء ما تقدم يمكن تلخيص اهداف عمليات الرقابة الإدارية في المنهج كالآتي :

١- تشخيص الانحرافات السلبية في أداء العاملين وسلوكهم عن مبادئ وقواعد المنهج الاسلامي في العبادات والمعاملات.

٢- تحديد العوامل والمتغيرات المسببة للانحرافات السلبية بين الاداء المطلوب والاداء المتحقق .

٣- اتخاذ الإجراءات التي تسهم في منع تكرار الانحرافات السلبية في المستقبل .

٤- مساءلة العاملين الذين يكون مستوى ادائهم وسلوكهم مخالفاً لمبادئ الدين الاسلامي .

٥- مكافأة الاكفاء، ومعاقبة المقصرين تطبيقاً لقوله تعالى(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة ٧-٨) ، وقوله تعالى (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ...) (الإسراء ٧)، بهدف تحفيز الاكفاء على الاستمرار على الأداء والسلوك المتميز، وفي الوقت نفسه حث المقصرين على الارتقاء بأدائهم وسلوكهم إلى المستويات المطلوبة.

٦- جلب المنافع للمنظمة، وللعاملين فيها، وللمتعاملين معها، والمستفيدين من السلع والخدمات التي تقوم بإنتاجها وتسويقها، ودرء المفاسد عن جميع تلك الأطراف من أجل خير العباد والبلاد (موسى و فاطمة، ٢٠١١، ص ٣٢٩).

أشكال الرقابة الإدارية في الإسلام :

يمكن تقسيم أشكال الرقابة الإدارية في الإسلام بناءً على ما تضمنته الآية القرآنية من مضامين رقابية في قوله تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة : ١٠٥) إلى المستويات التالية :

١- الرقابة الذاتية

يتولى عملية الرقابة الذاتية ضمير الفرد المؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يراقب جميع أقوال الافراد، وسلوكهم، وأداءهم للأعمال المكلفين بها، وتعاملهم مع الآخرين في مختلف الظروف والأحوال بصورة مستمرة، ولا يعزب عنه مثقال ذرة من اعمالهم واقوالهم الظاهر منها والمخفي، سواء كانت خيراً او شراً، وما يعتزمون القيام به في المستقبل، ولذلك ينبغي ان يعول على هذا النوع من الرقابة كثيراً فهي تمنع الفرد ذاتياً ان يكون اداؤه، وسلوكه، وعلاقاته مخالفة لمبادئ الدين الاسلامي الحنيف (موسى و فاطمة، ٢٠١١، ص ٣٣١) . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون) وفي الحديث الآخر: (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) (القناديلي، ٢٠٠٧، ص ٣٩).

وقد عرفها (الأشعري، ٢٠٠٠، ص ٣٥٩) بأنها (إحساس داخلي للموظف منشأه الايمان الذي لا يخامره شك بأن الله جلّت قدرته يرى جميع تصرفاته الصغيرة والكبيرة والخفية والمعلنة، وأنه محاسب عليها، وهي ما تشير إليه الآية الكريمة : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥) ويقوده هذا الإحساس إلى اتباع العمل الحسن واجتناب العمل السيء طاعة للمولى عزّ و جلّ .

وتطبق هذه الرقابة من خلال قيام عضو الإدارة في الجهاز الإداري بإعادة النظر في أعماله وتصرفاته الإدارية التي أمضاها، ليتحقق بنفسه من سلامتها وصحة مشروعيتها، وعدم مخالفتها لقواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها أو لما صدر إليه من أوامر وتوجيهات من رؤساءه الإداريين، أو إعادة بحث مدى ملائمة تصرفه لمقتضى العدالة، ليبادر من تلقاء نفسه في حالة اكتشافه لخطأ ما في سلوكه الإداري بتصحيح ذلك من خلال إلغائه أو تعديله وقد تضافرت الأدلة النقلية في القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب التوبة من الذنوب والحث عليه فقال تعالى في محكم آياته (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر ٣٨) (صالح، ٢٠٠١، ص ٣١).

وقد أكدت الآيات القرآنية ان الله تعالى يراقب الأفراد ، ويظهر ذلك في قوله تعالى (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (التغابن ٤) ، وقوله تعالى (لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة ٢٨٤)، وقوله (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (٦١) (موسى و فاطمة، ٢٠١١، ص ٣٣٢).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأنظمة والتعليمات والقوانين الوضعية التي تناولت موضوع الرقابة تهدف إلى جعل الافراد يهابون السلطة، ويخافون من العقوبات التي تصدرها بحقهم في حالة مخالفتهم لتعليماتها، ولكن الوقائع أثبتت بشكل لا يقبل الجدل والمناقشة أن هذا الخوف لا يكفي لضمان التزام الافراد بالتعليمات، وتطبيق الاجراءات المحددة من قبل السلطة، بينما الايمان بان الله يراقب الفرد في كل مكان وزمان يسهم في تنمية شعور ذاتي لدى الفرد بأهمية الالتزام بما يرضي الله، وتطبيق أحكامه في العمل، وفي علاقاته مع الآخرين، ويوفر رقيباً في داخل الانسان لا يمكن خداعه ولا يمكن استغفاله (موسى و فاطمة، ٢٠١١، ص ٣٣٣).

والرقابة الذاتية عملية مستمرة ودائمة وليست جامدة ومؤقته وهي هاجس الموظف المؤمن رئيساً ومرؤوساً بأنه إذا خفي عمله القبيح عن عيون الناس فإن رب الناس يراه، حيث لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه سوف يعرض عليه يوم الحساب وفي يده صحائف عمله، يقول الله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) (الإسراء ، ١٣) وهذه هي حقيقة الرقابة فكراً ومنهجاً وممارسة.

والتاريخ الإسلامي يزخر بشواهد كثيرة تدل على عمق الرقابة الذاتية في حياة الناس، منها تلك الواقعة المشهورة الخاصة بنقاش ما دار بين أم وابنتها التي كانت تخلط اللبن. إذ طلبت الأم من البنت أن تخلط اللبن بالماء لتزيد من كميته وأنه لا عمر يراها ولا أحد يراها من رجاله. فأجابتها ابنتها جواب الخائفين من الله عزّ و تعالى والراغبين إليه والمتوكلين عليه بموضوعية وطمأنينة بقولها : إذا كان عمر لا يرانا فإن الله سبحانه وتعالى يرى متقلّبنا ومثوانا لأنه يعلم ما في الضمير ويسمع (الأشعري، ٢٠٠٠) .

٢- رقابة الأجهزة التنفيذية (الرقابة الإدارية)

وقد أكد المنهج الإسلامي أهمية رقابة الأجهزة التنفيذية في قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة ١٠٥) ، ويتبين من هذه الآية الكريمة أن السلطة التنفيذية كانت في صدر الإسلام تتمثل بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان على رأس السلطة التنفيذية آنذاك التي تقع عليها مسؤولية مراقبة اداء الأفراد للعبادات والمعاملات بهدف التأكد من قيامهم بها على وفق احكام المنهج الاسلامي(موسى و فاطمة، ٢٠١١).

وبالتالي فهي تعرف بأنها (متابعة القائد الإداري ، لأعمال معاونيه ونشاطات منسوبي الجهاز الإداري للمنشأة ، وهي تتمثل في كل من أخذ دور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه في الإدارة والحكم كالخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ونوابهم كالأمراء والوزراء والمدراء والولاة وغيرهم من القادة المسلمين إلى يوم الدين) (الأشعري، ٢٠٠٠).

أجهزة الرقابة الإدارية

تمثل الرقابة في التصور الإسلامي امتداداً لنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن ثم تطور نظام الحسبة والشرطة . وللرقابة في الإسلام مكانة رفيعة ، وبناءً عليها تحدث المحاسبة ، ويكون الجزاء وتصحح الانحرافات ، وتعد الرقابة في الإسلام ضمانة لحق العباد المصون في الشريعة الإسلامية . ومن ثم ظهر مفهوم الحسبة ، والرقابة القضائية في الشريعة الإسلامية . وتفنن المسلمون في تأصيلها وتوظيفها في الخدمة العامة وتحقيق الصالح العام (زواقة، ٢٠١٥، ص ١٩١).

إن الإدارة الإسلامية والرقابة على هذه الإدارة كانت من الدقة ومن التنظيم بما يشهد لرجال الإدارة المسلمين بالكفاءة والقدرة . ولم تكن هذه الكفاءة والقدرة مكتسبة بالدراسة والتحصيل ولكنها كانت نابتة مع الإيمان والإخلاص وفهمهم الكامل لروح الشريعة الإسلامي ومقاصدها (الحكيم، ١٩٧٦، ص ٤).

وقد اتجهت الدولة العربية الإسلامية ، منذ بدء عهد الخلافة الأموية إلى إنشاء اجهزة إدارية متخصصة في القيام بمهام الرقابة الإدارية مع استمرار وسائل الرقابة الذاتية والرئاسية التي سبقتها في مجال التطبيق العملي. وكان من بين هذه الأجهزة دواوين البريد والأخبار، والنظر في المظالم والحسبة، والخاتم، فضلاً عن اضطلاع جهات إدارية اخرى بالرقابة والإشراف ضمن مهامها الأساسية الأخرى كالقضاء، ودواوين الرسائل والتوقيع والفض (صالح، ٢٠٠١، ص ١٤١).

وكذلك الدواوين والهيئات المتخصصة بالشؤون المالية مثل بيت المال وديوان الخراج وديوان الدار وديوان النفقات وديوان الضياع وديوان المصادرات وديوان الأزمة وزمامها والجهبذة.

وتمثل قواعد اختيار العاملين في الجهاز الإداري الاسلامي احدى المظاهر الرئيسة للرقابة الإدارية، واللبنة الأساسية الأولى في حلقاتها المحكمة فهي تستهدف ايجاد العنصر الإداري المناسب للقيام بالعمل المطلوب منه على خير وجه . وتتطلب هذه المهمة من الخليفة باعتباره المسؤول الإداري الأعلى في الدولة والذي بيده زمام الأمور، ان يكون على جانب كبير من اليقظة والحزم والقوة وحسن التدبير، مع اخذه بالرأي الصائب القائم على مشاورة ذوي الرأي والفطنة تحقيقاً لصلاح الرعية وترسيخاً لمبادئ الحق والعدل التي أقرتها الشريعة الإسلامية.وطبقاً لذلك ارتأت الدولة العربية منذ نشأتها اعتماد مواصفات وضوابط معينة لتقليد ولاة الأمور تقوم على أساس اختيار الأكفاء ، وانتقاء الأصلح لكل منصب ، وذلك لأنه اذا ما استعين لعمل ما بمن هو غير كفء له و فوض اليه تدبيره، عجز عنه وأفسده وآلت نتائجه إلى الفشل . ولقد جاء في السنة النبوية ما يؤكد هذا النهج ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين). كما ورد عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : (من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة، لا يشغله، إلا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) (صالح، ٢٠٠١، ص١٤).

والفاروق رضي الله عنه يتحرى قبل التعيين ويتحرى بعد التعيين عن الموظف الذي عهد إليه بعمل ما . فبعد أن يحسن الاختيار ويصدر قرار بتكليفه، يقول : (أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل ،أكنت قضيت ما عليّ ؟ فقالوا نعم . قال لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته به أم لا) (الأشعري، ٢٠٠٠، ص ٣٧٠).

ومن المبادئ التي أقرها النظام الإداري في الدولة العربية الاسلامية، أن تفويض السلطة من قبل الرئيس الإداري لا يعفيه من المسؤولية، لأن تفويض السلطة لا يعني تفويض المسؤولية. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي عماله بألا يأخذوا من الناس كرائم اموالهم في الصدقة، ومن ذلك قوله لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : (فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم طاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم) (صالح، ٢٠٠١، ص ٢٢).

٣- الرقابة الجماهيرية (الرقابة الشعبية)

يؤكد قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة ١٠٥) أن المنهج الاسلامي منح المجتمع فرصاً واسعة لمراقبة الأعمال التي تقوم بها المنظمات والعاملين فيها بهدف التأكد من كفاءتها في توظيف الإمكانات والموارد والفرص المتاحة لها في المجالات التي تحقق خير العباد والبلاد، ويظهر من هذه الآية الكريمة ان لأفراد المجتمع الحق في مراقبة اداء العاملين وسلوكهم في جميع المنظمات، ولا يقتصر حقهم على مراقبة اداء المستويات التنظيمية الدنيا في تلك المنظمات، انما يمتد ليشمل حتى المستويات التنظيمية فيها. (موسى و فاطمة، ٢٠١١، ص ٣٣٥)

وتعرّف الرقابة الشعبية بأنها رقابة الأمة على الحاكم ، أي متابعة الرعية لأعمال الرعاة ومحاسبتهم عليها لأنهم وكلاء مسؤولون عن نشاطهم أمام موكليهم بموجب البيعة (عقد الوكالة) التي تمت بين الطرفين ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين : **رقابة مؤسساتية** : وهي رقابة شعبية رسمية يقوم بها نفر من المختصين ممثلين للشعب وهي أهم وأرقى من المسماة بـ رقابة عامة ، وتظهر على شكل هيئة (برلمان) و**رقابة عامة** ويقصد بها إشراف الأمة أفراداً وجماعات على نشاطات الراعي ومعاونيه وهي رقابة شعبية عامة على أعمال الدولة الإسلامية وذلك تمشياً مع وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبناءً على أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض. (الأشعري، ٢٠٠٠، ص ٣٩٠).

وبين (الأشعري، ٢٠٠٠) أن التاريخ الإسلامي يكتظ بالشواهد الرائعة كأمثال لهذا النوع من الرقابة الشعبية . فلقد كان الخلفاء الراشدون يطلبون من الرعية التعاون معهم في بناء دولة اسلامية مثلى ومجتمع مسلم أفضل من خلال لقاءاتهم بهم وخطبهم الموجهة إليهم وها هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوقظ الحس الرقابي لدى الناس ويقول في خطبته الأولى بعد البيعة العامة : "أيها الناس : فإني وليت عليكم و لست بخيركم . فإذا أحسنت فأعينوني وإذا أسأت فقوّموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .." كما شجع رضي الله عنه الرعية على الرقابة المباشرة بقوله "أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي " وقد خطب الناس على المنبر يوماً وقال " يا معشر المسلمين : ماذا تقولن لو ملت برأسي إلى الدنيا كذا– وميل رأسه–فقام إليه رجل فسلّ سيفه و قال : أجل ، كنا نقول بالسيف كذا– وأشار إلى قطعه– فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوّجت قومني ". وكذلك قال عثمان رضي الله عنه في خطبته إلى الناس :"فأنا أول من أتعظ، فإذا نزلت فليأتيني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردّني الحق عبداً لأستن بسنة العبيد .

شعيرة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (الحسبة)

الحسبة لغة : ولها أربعة معاني وهي : طلب الأجر من الله من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان إيماناً وز احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وتأتي بمعنى الإنكار ومعنى الاختبار والسبر ومعنى حسن التدبير والنظر في الأمر أو إحصائه أو عده .

الحسبة اصطلاحاً : تعريف الماوردي الذي نصه :(الحسبة هي : أمر بالمعروف إذا ظن تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظن فعله)

وقد شغلت وظيفة المحتسب في الإسلام حيزاً كبيراً من لدن المفكرين المسلمين وغيرهم وذلك لما يقوم به المحتسب من الوظائف العديدة حتى شملت المراقبة والمتابعة على جميع أفراد الحكومة الإسلامية من الوالي إلى العاملين في السوق وللاحتساب في الإدارة الإسلامية وجهان هما المحتسب الرسمي والمحتسب المتطوع (الضحيان، ١٩٩٤).

وفي القران كثير من الآيات تنبه إلى ضرورة الاهتمام بهذه الشعيرة، ومنها :

١- (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران ١٠٤)

٢- (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران ١١٠)

وفي الأحاديث النبوية نجد ما يؤكد هذا المبدأ الإسلامي فمن تلك التوجيهات :

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكراً ليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم .

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن الله تعالى يغار وغيره الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه " متفق عليه .

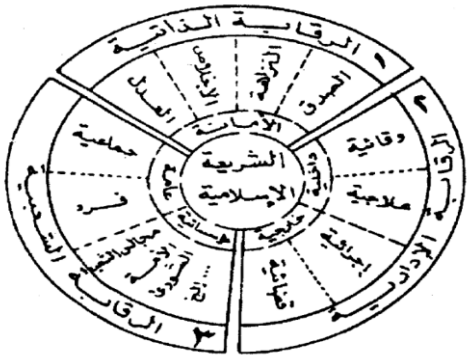

الشكل رقم (١)

أشكال الرقابة الإدارية في الإسلام

المصدر (الأشعري،ص٣٥٨)

المراجع

القرأن الكريم

السنة النبوية الشريفة

الأشعري، أحمد داود المزجاجي. (٢٠٠٠). *مقدمة في أدارة الأسلامية* . جدة: دار خوارزم العلمية للنشر.

باعجاجة ، سالم سعيد سالم. (١٩٩٧). *دراسات في : الجوانب السلوكية للرقابة بالموازنات التخطيطية في الفكر الإسلامي* . القاهرة: دار الكتاب الجامعي.

جاد الرب ، سيد محمد. (٢٠٠٨). *دروس إدارية و تنظيمية من القرآن و السنة النبوية* . سيد محمد جاد الرب.

حسان ، حسن محمد ، والعجمي ، محمد حسنين. (٢٠١٠). *الإدارة التربوية*. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الحر ، خالد. (بلا تاريخ). *وظائف الإدارة الخمسة* . تاريخ الاسترداد ٢٨ ١، ٢٠١٩، من موقع مركز المدينة للعلم والهندسة:

http://www.khayma.com/madina/m3-files/idara.htm

الحكيم ، سعيد عبدالمنعم. (١٩٧٦). *الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية و النظم المعاصرة* . دار الإتحاد العربي للطباعة.

سليمان ، يوسف عثمان محمد. (٢٠١٠). الرقابة في القرآن الكريم. *مجلة كلية القرآن الكريم*.

صالح ، خولة عيسى. (٢٠٠١). *الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية* (المجلد ١). بغداد: بيت الحكمة.

الضحيان ، عبدالرحمن ابراهيم. (١٩٩٤). *الرقابة الادارية : المنظور الاسلامي والمعاصر والتجربة السعودية* . جدة: مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) .

عبدالعزيز عبدالله آل الشيخ. (٢٠ ١٢، ١٤٣٤). *خطبة الجمعة ٢٠-١٢-١٤٣٤هـ*. تاريخ الاسترداد ٢٧ ١، ٢٠١٩، من الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية: https://mufti.af.org.sa

عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (٢٠٠٠). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (المجلد ١). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع.

عريفج ، سامي سلطي. (٢٠٠٧). *الإدارة التربوية المعاصرة* (المجلد ٣). عمان، الأردن: دار الفكر.

عطية ، مروان. (٢٠١٠-٢٠١٩). *معجم المعاني الجامع*. تاريخ الاسترداد ٢٨ ١، ٢٠١٩، من المعاتي:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/ar/%D8%B1%D9%82%D8%A7%D8%A8%D8%A9

القناديلي ، جواهر أحمد. (٢٠٠٧). *الرقابة الإدارية من وجهة نظر إسلامية*. القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة.

المطيري ، ثامر. (١٩٩٠). *فلسفة الفكر الإداري و التنظيمي*. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع.

موسى ، غانم فنجان ، وفاطمة ، فالح احمد. (٢٠١١). *الإدارة في المنهج الإسلامي مدخل الوظائف الإدارية*. إربد، الأردن: حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

النمر ، سعود محمد ، خاشقجي، هاني يوسف ، محمود ، محمد فتحي ، و حمزاوي ، محمد السيد. (٢٠٠٦). *الإدراة العامة – الأسس الوظائف*. الرياض: مكتبة الشقري .